



# العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة  
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## القصيدة الشفعية في مدح شافع الجمعية : نظرة عابرة

د. ك.م.ع. أحمد زبير

الأستاذ المساعد، قسم العربية، الكلية الجديدة، شنائي

لا يخفى على من له إمام بعناية ولاية تامل نادو واهتمامها في القوائد العربية. ولاية تامل نادو هي إحدى الولايات الشهيرة التاريخية الواقعة في جنوب الهند. تقع تامل نادو في أقصى جنوب الهند. وكانت العلاقة الأخوية والصلة الودية بين العرب وأهل تامل نادو وثيقة منذ زمن بعيد جدا حتى قبل المسيح عليه السلام. اعتبرت اللغة العربية قبل قدوم الإسلام لغة تجارية بين الشعبين ونالت قبولا حسنا. قام عدد كبير من الأدباء والشعراء بتأليف الكتب القيمة والقوائد المشهورة. و يقرضون الأشعار وأتحفوا المجتمع التاميلي. وبعد ظهور الدين الإسلامي أصبحت ولاية تامل نادو ذات صلة قوية بالعرب ولغتهم. لقد اهتم مسلموا ولاية تامل نادو بتعلم اللغة العربية أنفسهم وبتعليمها لأبنائهم. نتيجة لهذا الإهتمام انجبت ولاية تامل نادو منات من الأدباء البارعين والشعراء البارزين وتركوا أثارا كبرى من مؤلفاتهم الرائعة في اللغة العربية. أن مؤلفاتهم ثروة علمية ذات قيمة عظيمة شهد لها العلماء الكرام بالفضل. ولا شك فإن هذه المؤلفات تدل على اهتمام مسلمي ولاية تامل نادو باللغة العربية واعتنائهم بها.

أنجبت ولاية تامل نادو رجالات نادرة وشخصيات فذة. فبعد الدراسات الموسعة نجد عددا كبيرا من الأدباء والشعراء والعلماء والعباقرة والكتاب والمؤلفين والمحدثين والفقهاء والدارسين والباحثين والمحققين والمثقفين والمصلحين والمفكرين والمبلغين والصحفيين الذين قدموا مساهمات ملموسة لا يستهان بقيمتها في إثراء الدراسات الإسلامية. والعالم الإسلامي مدين لهؤلاء الأبطال التاميليين بالشكر لخدماتهم الخالدة ومآثرهم الرائعة واعترف بفضلهم حتى العرب. فمن هؤلاء أعلام اللغة العربية والعلوم الإسلامية في ولايتنا الشاعر عبد القادر تكية صاحب الصغير الذي ولد في هذه الولاية.

المدائح النبوية من فنون الشعر فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية من الأدب الرفيع. لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص. استوحى المديح النبوي مادته الأصلية الإبداعية ورويته الإسلامية من القرآن الكريم أولا والسنة النبوية ثانيا. وهناك مصادر ثانوية للمدائح النبوية وهي كتب التفسير التي بنيت حياة الرسول بيانا واضحا. إن المديح النبوي صلى الله عليه وسلم لا زال ولا يزال من أبرز أغراض الشعر العربي في ولاية تامل نادو منذ نشأته إلى يومنا هذا. "القصيدة الشفعية" للشيخ تكية صاحب الصغير وهي أول قصيدة عربية أصلية عرفت لأهل تامل نادو.

يراعي الشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير من ولاية تامل نادو في عمله الرائع "القصيدة الشفعية في مدح شافع الجمعية" المعروفة بـ "القصيدة الشفعية" كما يلي :

إن ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جزء من العبادة وحياة الصحابة رضي الله عنهم تدل على هذه المسألة. لا يمكن للإنسان السعادة في هذه الدنيا والآخرة إلا بالصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم. تساعد هذه الصلوات المؤمنين في الموت وفيما بعد الموت حتى تساعد في لقاء الله عز وجل. هؤلاء المؤمنون ينقذون من جهنم ومصائب

الدنيا من يطلب منه الشفاعة يشفع له<sup>(1)</sup>. قال الله تعالى في القرآن المجيد: ((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)) (سورة الأعراف: ١٥٧).

ونعرف من القرآن الكريم أن من يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يكون من الناجحين في هذه الدنيا والآخرة. قد عرف الصوفيون من القرآن الكريم وسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوائد عديدة الذي يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. وهي القاعدة نفسها أثبت مشايخ الإسلام أنه بواسطة وسيلة الرسول يأتي التوفيق والفلاح في الدنيا والآخرة.<sup>(2)</sup> شرحت هذه الأبيات من القصيدة الشفعية عن مادة مذكورة ملاحظة وهي كما يلي:<sup>(3)</sup>

ثمنت بمدح المصطفى نصب جنة \* من النار لي دون اللظى ودجنة

ومن شر شيطان رجيم جنة \* ثقاتي به أنى أفوز بجنة

به وحسان لا تشيخ وتطمث

الشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير (١١٩٢-١٢٦٧هـ)

ولد الشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير في قاهر فطن (١) سنة ١١٩٢هـ. كان تكية صاحب عالما وشاعرا بليغا باللغة العربية والتأملية المحلية. كان هو أول من أدخل نظاما جديدا في معاهد التعليم في ولاية تامل نادو. وكان على طلاب اللغة العربية أن يدبروا المسكن والطعام بأنفسهم منذ البداية. كانت المدارس العربية تقدم لهم التعليم المجاني فقط من غير الطعام والسكن. وذلك لأن المعلمين أنفسهم كانوا يقدمون هذه الخدمة وليس لهم القدرة على تأمين المسكن والطعام لطلابهم. كان الشيخ تكية صاحب أول من أدخل نظام المدرسة الداخلية والسكن في سنة ١٢٢٨هـ. كتب الشيخ تكية صاحب مقالة عن التصوف وهي مخطوطة تسمى "مجموع الدين" حوالي ٢٠٠ صفحة. يوجد هذا الكتاب عند الشيخ عبد القادر لبي من مدينة غالي (Galle) بسرنديب.

القصيدة الشفعية في مدح شافع الجمعية

قرض الشيخ تكية صاحب أشعارا من خمس أبيات تسمى مخمس من أشهرها "القصيدة الشفعية في مدح شافع الجمعية مشهورة بـ "القصيدة الشفعية". مدح فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهي تُشَبَّه القصيدة الوترية (٢) في كل شيء. كما رأينا أن القصيدة الوترية تتكوّن من ٤٢١٠ بيتاً منها ٢٩٩٢ بيتاً لمادح الرسول صدقة الله أبا. لكن القصيدة

(1) Dr.Tayka Shuaib Aalim, "Arabic, Arwi & Persian in Sarandib and Imamul Aroos Trust, Chennai , Tamil Nadu" 1993,pp:137.

(2) الدكتور أحمد زبير ، "أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية" ، ٢٠٠٣م ص :١٥٣.

(3) Dr.Tayka Shuaib Aalim, "Arabic, Arwi & Persian in Sarandib and Imamul Aroos Trust, Chennai , Tamil Nadu" 1993,pp:138.

١ قاهر فطن - تقع هذه البلدة الساحلية في مديرية توتوكودي (Thoothukudi) على مسافة أربعة أميال بالجانب الشمالي من مدينة تروشندور (Thiruchendur)

٢ إن الشيخ صدقة الله أبا قد خمس القصيدة الوترية للإمام أبي بكر بن محمد البغدادي. وهذه القصيدة الوترية تشتمل على ٤٢١٠ مصراعا بالمجموع وإذا خصمنا منها ١٢١٧ مصراعا للشيخ أبي بكر يبقي ٢٩٩٢ مصراعا خاصا للشيخ صدقة الله أبا. وهو يدل على أن الشيخ صدقة الله أبا قد كتب أكثر من ضعفي ما كتبه الكاتب الشاعر الأصلي الشيخ أبو بكر رحمه الله. كان الشيخ صدقة الله أبا جدا للشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير

الشفعية تحتوي على ٣٩٢٠ بيتا كلها أصلية. وقد ألفت على النحو التالي(٦): " ألف تكية صاحب ٢٨ مخمس على أساس الحروف الهجائية. كان مخمس تحتوي على ٢٨ خطأ . أي ألف ٢٨ حرفا من الحروف العربية. حتى كان مجموع الأبيات ٣٩٢٠ بيتا. أي أنها أقل من القصيدة الوترية بـ ٢٩٠ بيتا "

فتبدأ القصيدة الشفعية بالمخمس التالي :

أبسم بسم الله بدأ القصائد \* أحمد ل للرحمن رب العوائد  
أفاض الرحيم ما صلاة على يد \* أمان و اله مع صحاب فواند

إلهية عما سواها تبراً

يقول الأستاذ محمد يوسف كوكن العمري عن طرز لسان الشيخ عبد القادر تكية صاحب في القصيدة الشفعية(٧) :لم تكن لغة القصيدة سلسلة و لا واضحة و لا رانعة لأن اللغة العربية لم تكن لغته الأم و لكن كانت القصيدة مليئة بالعواطف السامية و الحب العميق للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. لأنه كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع عند الله بإذنه. في الأبيات التالية يظهر تواضع المؤلف حيث يشعر أنه أضاع وقته في طلب مختلف أنواع العلوم التي لم يستفد منها. و يشعر بالذنب أيضا لما قصر في أداء واجبات الدين التي فهمها كما يجب. و ساوى نفسه بالشيطان الذي مع قدر علمه إلا أنه عصى الله. و يشعر أنه لم يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم. وضع ذلك هو يؤمن أن الله يغفر له ذنوبه و يدخله الجنة من غير بسبب حبه للرسول صلى الله عليه وسلم و مدحه إياه :

طلبت علوم ما بها أنا عامل \* ومثلي كمثلي الجن إبليس حامل  
لكل ذنوب إن من هو كامل \* ثمان جنان مشتتر هو شامل

لعلم و تقوى للنعيم ثورث

ولكنني أرجو و إن كنت عاصياً \* لغفران ذنبي يوم شفع نواصيا  
بمدح نبي كان براً مواسياً \* ثنيت به عن مدح من كل ناسيا

مدحت به طه و إن كنت أخبث

نظم الشاعر تكية صاحب في مدح النبي الرسول صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا وصفاته المثلي والصلاة عليه تقديرا وتعظيما. هذا كله أول دليل على تمكن الشاعر تكية صاحب الصغير في البلاغة وفي الشعر ومدى حبه وعشقه للمصطفى صلى الله عليه وسلم. ومعرفته بتاريخه ومعجزاته. فلا عجب في قبوليتها لدى البلغاء وغيرهم فإنه إذا ظهر السبب بطل العجب. دعا الناس إلى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فأرشدهم و علمهم كيف يقتدون بالشخصيات الطيبة. فأتبع و استمع القول النصيحة التي تقدم إليهم. فيقول في نفس القصيدة :

ألا فاذكروا قول النبي فانظروا \* لما قال لا من قال لا لي تنظروا  
خذوا من علمي لا لعلمي تبصروا \* ثلثت أنا أركان دين فابصروا

(٦) أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية (رسالة الدكتوراه) جامعة مدراس، ٢٠٠٣م، ص: ٤٨.

(٧) Prof. Mohammed Yousuf Kokan, Arabic and Persian in Carnatic, Ameera & Co, Chennai 1974, pp:445

مقالي فذا قول النبي أحدث

ألف الشيخ مخلصات عديدة تشتمل على خصائص ممتازة و في بعض الأبيات حروف البداية و حروف النهاية كلاهما نفس الحروف.

ضنين بناء أن نعمل الشر معرضا \* ضلالا أرى الأعراض عما به الرضا  
ضممت المعاصي غيرما كان فسرضا \* ضعيف ضجور ضاع عمري ممرضا

ضروب الخطايا تبت منها و أعرض

طموع على التطهير كلا من الخطا \* طلوب لمولاه زهود لما اسخطا  
طهور و عن كل الرذائل في الخطا \* طلوع المحيا نوره لاح إذ خطا

طمعت به أنجو به أنا و أبسط

علمت علوما ما بها أنا أنفع \* عصيت بجهلي للذي الخلف يشفع  
عدمت فواداً يجمع القرب يرفع \* عسى الله أن يعفو بمدح و ينفع

عني كل ذنبي بالعلوم مشفع

تختم هذه القصيدة الطويلة بهذه الأبيات التالية و هي كما يلي :

يوأقبت هذا النظم عقد عقدها \* يقينا بياقوت النظام و نقدها  
يروح على كر الدهور و عقدها \* يحلي على المختار ما دام فقدها

يخبينا و الآل و الصحب و المحيا

يستعمل الشيخ مهارة خاصة في أحسن من أعماله وهذا خير ما أبدع مؤلف أي "القصيدة الشفعية" أحدها التي أستعملت فيها الحروف المنقوطة فقط. وهذه طريقة نادرة و غير مألوفة في أصول الشعر حيث دفعه اهتمام خاص بهذا الموضوع. رأينا هذه الخصائص في الأبيات التالية.

جنيت بذنبي تجني تبت نفني \* تقي نقي زين ظني يشقتني  
شقي يشين جنب ذنب فبقنتي \* نظيف يقين يشفقن بتيقتني

غني تغنيني يغيب تزين

وجدت هذه الأبيات المذكورة في قافية النون. هكذا يستعمل الشيخ تكية صاحب حروف غير منقوطة كما يوجد في التالية:

علو و إكرام مدح لسرمد \* ولا هو إلا هو كسر محمد  
هو الأحد معلوما لعلمنا وأحمد \* لروم لطوع الله هو طوع أحمد

وعاص له عاص لما هو مؤمن

وفي الأشعار المذكورة أعلاه يستخدم الشيخ حرف النون في سبيل إيقاع قافية. للقصيد الشفعية ثمان و عشرين قافية. وكل قافية البيتان الأخيران فتبدأ و تختتم بحرف واحد. تبدأ خمس أو ست قافية من ثمان و عشرين قافية من حرف واحد و هذا المثال يستمر حتى نهاية هذه القافية . و تحتوي كل حرف من حروف الهجائية بنظام و من أمثالها:

أتى خير خلق الله أب أرواحنا \* أبو الإنس منه بعثه لنجاحنا  
أبان به سبل الهدى لفلاحنا \* أبانا عن الشرك الخفي لصلاحنا

أسراً بتوحيد لمن هو يبرأ

و توجد في هذه القصيدة ٣٩٢٠ بيتا و إن هذه الأبيات رائعة و عجيبة و يظهر منها مهارة أدبية كاملة و بها نفهم مقام الكاتب الجليل و الكلمات التي تبدأ من هذه الحروف ( ث ، ج ، د ، ز ، ص ، ظ ، غ ، ي ) قليلة جداً. كتب الشيخ حوالي ١٢٨٠ بيتا من هذه الحروف. و نحن نعرف من هذا أن الشيخ تكية صاحب سهل الأسلوب و أبدع لا مثال لها و لا نظير لها و هي مأثورة عظيمة.

و كان من عادة العلماء البارزين بين المسلمين التاميليين أنهم كانوا يحترمون القدماء و كذلك يستعمل الشيخ تكية صاحب في القصيدة الشفعية الحروف كلها إلا " ل " أي تحتوي على ٢٨ حرفاً احتراماً لجده الشيخ صدقة أبا لأن الشيخ صدقة الله استعمل كل الحروف الهجائية من الحروف العربية. اعتمدت هذه القصيدة على البحر من البحور الطويلة الجادة التي تناسبت مع الأغراض الجليلة الهامة. استعمل الشاعر حرفاً خاصاً في هذه القصيدة إلى إيقاع قافية من أهم القوافي القصيدة. استعمل الشاعر بكثرة ظاهرة التصريحي والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة الأصوات المجهورة. صور الشاعر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أروع تصوير في أساليب متنوعة. هذا الشعر في المديح النبوي يمتاز من جانب المضمون والشكل. هذا الشعر شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية. يخص بصدق المشاعر ونيل الأحاسيس و رقة الوجدان و حب النبي صلى الله عليه وسلم طمعا في شفاعته و وساطته يوم الحساب. الشاعر تكية صاحب يتناول من هذه القصيدة إلى الدعوة المحمدية و الرغبة إلى زيارة الحرمين الشريفين. يكثر في هذه القصيدة الدعاء و الاستغفار و التوبة و الشفاعة.

#### المصادر والمراجع :

1. Dr.Tayka Shuaib Aalim, "Arabic, Arwi & Persian in Sarandib and Imamul Aroos Trust, Chennai, Tamil Nadu" 1993.
2. Prof. Muhammad Yousuf Kokan, "Arabic & Persian in Carnatic, Ameera & Co. Chennai, 1974.
3. الدكتور أحمد زبير، "أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية"، ٢٠٠٣م
4. الدكتور أحمد زبير، "القصيدة الشفعية" من "الجديد" - مجلة الكلية الجديدة، ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص: ١٣-١٤.